﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾ [المائدة: 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين علمِ اللهِ المحيطِ، وبين عقابِه وغفرانِه

مناسبةُ هذه الآيةِ لما قبلَها أنّه "لمّا أنتج هذا؛ كلُّه أنّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لأنّه بكلّ شيءٍ عليم"(1)، جاء في هذه الآيةِ مُستخدمًا أسلوبَ التّحذير والتّبشير، "فقال محذّرًا ومبشرًا؛ لأنّ الإيمانَ لا يتمّ إلّا بهما: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾، أي الّذي له العَظَمَةُ كلُّها الّذي نهاه عنها ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، فليكن عبادُه على حذرٍ منه"(2)، ومع ذلك فإنّه تعالى يغفرُ لمن تاب وعادَ ويرحمُ عبادَه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَدِيدُ﴾: صفةٌ مشبّهةٌ زِنةُ (فَعِيل)، الفعلُ منه (شَدَدَ)، ثمّ أُدغمتِ الدّالُ في الدّال، فصارت (شدّ)، وشديدٌ صفةٌ من صفاته تعالى "وهي القوّةُ والجلادةُ في البَدنِ والعقلِ، وقد شدَّ يَشدُّ شِدّةً، إذا كان قويًا، وأصلُ الشّدةِ العَقدُ القويُّ"(3).

2) ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾: مصدرٌ للفعلِ عاقبَ يعاقبُ عقوبةً وعقابًا، وزنُه (فِعَال)، وأصلُه من (عَقَبَ)، وله "أصلانِ صحيحانِ، أَحدُهمَا يدلُّ على تأخيرِ شيءٍ وإتيانه بعدَ غيرِه، والأَصلُ الآخرُ يدلُّ على ارتفاعٍ وشدَّةٍ وصُعوبةٍ"(4)، وكلا الأصلين له علاقةٌ بالمضاف إليه، في قولِه تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، فإنّ العقابَ في تأخيرٍ، حتّى حصولِ الذّنبِ فضلًا عنِ الحقِّ ﷻ، يُمهلُ العبدَ، ولا يعاجلُه بالعقوبة، ثمّ إنّ دلالةَ العقابِ على الشّدّةِ والصّعوبةِ، واضحةٌ بيّنةٌ.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 6/309.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 6/309.
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (شدد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقب).

3) ﴿غَفُورٌ﴾: من صِيغِ مبالغةِ اسمِ الفاعلِ، على زِنةِ (فَعُول)، فاللّه غفورٌ لمن أطاعَه وآمنَ به، وأصلُه منَ الغَين والفاء والرّاءِ، ومعظمُ بابِه، يأتي لمعاني السَّترِ، فالغفرُ والغُفران، بمعنى السَّتر[1] والغفورُ هو الّذي يستُرُ ويمحُو الخطايا، مهما كانت عظيمةً إلّا الشّركَ باللّه، "والغُفرَانُ والمَغفِرَةُ منَ اللّه، هو أن يصونَ العبدَ من أن يمسَّه العذابُ"[2].

4) ﴿رَّحِيمٌ﴾: من صِيغِ مبالغةِ اسمِ الفاعلِ، على زِنةِ (فَعيل)، وأصلُه (رَحِمَ)، ومنه الرّحمةُ وقد اقترنت هذه الصّفةُ مع أختها، (الرّحمن) في البسملةِ وفي آيةٍ من فاتحة الكتاب، وهما "يدلّان على الرِّقةِ والانعطافِ في أصل اللُّغة، ولكنّهما بالنّسبةِ إلى اللّه تعالى، كنايةٌ عن إنعامِه وإحسانِه على خلقِه"[3]، إلّا أنّ الرّحمنَ أبلغُ منَ الرّحيم، لأنّه قيل: رحمنُ الدّنيا ورحيمُ الآخرةِ، ففي الدّنيا رحمتُه للجميع، مؤمنِهم وكافرِهم، أمّا في الآخرة فللمؤمنين خاصّةً، ثمّ إنّه قد يُطلقُ هذا الوصفُ، على غيرِه تعالى[4]، كقولِه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التّوبة: 128]، فقد وصفَ رسولَه ﷺ بهذه الصّفةِ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عذابُ اللّه شديدٌ على العاصِين، وغفرانُه فسيحٌ للتّائبين

الآيةُ فيها أمرٌ للمخاطَبين بأن يعلمُوا، أنّ من صفاتِه تعالى الشّدّةَ والقوّةَ في عقابِ العاصين والمُنتهكِين لمحارمِه، وفي المقابلِ فإنّ من صفاته الأخرى المبالغةَ في الغُفران، والمبالغةَ في الرّحمة "وأنّه لمن انتهك محارمَه، وتعدَّى حدودَه، ولم يتب عن ذلك، شديدُ العقابِ، وأنّه لمن تابَ وأنابَ إليه، غفورٌ رحيمٌ"[5]، وإنّ ممّا يدلُّ على أنّ جانبَ الرّحمةِ والمغفرةِ، أغلبُ من جانبِ العقابِ، أنّه ذكرَ العقابَ، بوصفٍ واحدٍ فيما ذكرَ الجانبَ الآخر، بوصفَين وهما غفورٌ ورحيمٌ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غفر).
(2) الرّاغب، المفردات: (غفر).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (رحم).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (رحم).
(5) الشّوكاني، فتح القدير: 2/91.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الآيةُ مصدَّرةٌ بفعل الأمرِ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾، تناسبًا مع السّياقِ السّابقِ:

تناسبًا مع السّياقِ السّابقِ، وهو سياقُ العلمِ (لتعلموا، يعلم، عليم)، صدّرَ الحقُّ ﷻ، هذه الآيةُ بفعلٍ مناسبٍ، لترتبطَ الآيةُ بسابقتِها ولتحقُّقِ الوصل. ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ فعلُ أمرٍ مبنيٌّ على حذف النّونِ وهو متّصلٌ بواو الجماعةِ أي تيقّنوا وتحقّقُوا أيّها المخاطَبون؛ لأنّ العلمَ هو اليقينُ.

الفعلُ (اعلَمُوا) مناسبٌ لتحقيق الارتباطِ ولتحقيق الوصلِ

إضافةُ الصّفةِ المشبَّهةِ (شديد) للفظِ (العقاب)، في قولِه: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾:

﴿أَنَّ﴾ حرفٌ يفيدُ التّوكيدَ، ﴿ٱللَّهَ﴾ لفظُ الجلالةِ اسمُ ﴿أَنَّ﴾، ﴿شَدِيدُ﴾ خبرُ أنّ صفةٌ مشبّهةٌ، ثمّ أضيفَ إلى ﴿ٱلۡعِقَابِ﴾ اسمٌ زنة (فِعال)، وهو تحذيرٌ وتخويفٌ لمن يستحلُّ ما نهى اللّه عنه، وهو "وعيد لمنِ انتهك محارمَه أو أصرَّ على ذلك"[1]، وافتتاحُ الآية ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ غايتُه الاهتمامُ بما سيردُ من كلامٍ، وحثُّ المخاطَب على تأمُّله "، وفيهِ تعريضٌ غالبًا بغفلةِ المخاطَبِ عن أمرٍ مهمٍّ... فالتّصريحُ بالفعلِ الدّالِّ على طلبِ العلمِ مقصودٌ للاهتمامِ"[2]، وسرُّ الاهتمام أنّ معنى الآية ولو ذكرَ ذلك خلوًا منَ الفعل لجازَ، إلّا أنّه أراد أنّ يُعرِّضَ بغفلة المخاطَب، ممّا مرّ من أحكامٍ، فجاء بالفعل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾، وزاد عليها ﴿أَنَّ﴾ المؤكّدةَ التّي أكّدت مضمونَ الخبر، بأنّه شديدُ العقاب، وهو بالمرصاد لمن خالفَ أمرَه وانتهكَ محارمَه.

تحذيرُ منتهكِ المناهِي، وتبشيرُ التّائبِ الآيبِ

الفعلُ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ دالّ على اليقين يَنصبُ مفعولَين:

ولمّا كانت ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يقينيّةً، فإنّ بها حاجةً لمفعولَين ولوجود ﴿أَنَّ﴾، فهي واسمُها وخبرُها تسدُّ مسدَّ مفعولَي اعلَمُوا، وهي كذلك

تأويلُ الجملةِ مصدرًا معطوفًا على سابقِها، يربط السّياقَ بالمعنى

(1) القاسمي، محاسن التّأويل: 6/2162.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/314.

على تأويل مصدرٍ معطوفٍ على ما سبق، تقديرُه (واعلمُوا شدّةَ عقابه كائنةً أو حاضرةً).

المشاكَلةُ بين الخوفِ والرّجاءِ في الآيةِ:

المؤمنُ متأرجِحٌ بين خوفٍ منَ العقابِ، ورجاءٍ للثّوابِ

لقد عقّبَ بقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وهو تعقيبٌ فيه مشاكلةٌ بديعةٌ بين الخوفِ والرّجاءِ، وهذا هو حالُ المؤمنِ متأرجحٌ، بين الخوفِ والرّجاءِ، فقد وردَ في الأثرِ: «لَو وُزِنَ خَوفُ المُؤمِنِ وَرَجَاؤُهُ، مَا زَادَ خَوفُهُ عَلَى رَجَائِهِ، وَلَا رَجَاؤُهُ عَلَى خَوفِهِ»[1]، ورجّحَ الحقُّ ﷻ الرّجاءَ على الخوف.

ورودُ التّعبيرِ بأنّه غفورٌ رحيمٌ، بعد العقابِ الشّديدِ:

مقابلةُ صفةِ شدّةِ العقابِ، بصفتَيِ الغُفرانِ والرّحمةِ

فبعدَ أن حذّرهم من عقابِه الشّديدِ، ثنّى بأنّه غفورٌ رحيمٌ، في آيةِ مغفرةٍ ورحمةٍ، مطابقةٍ لآيةِ العقابِ، بل وتزيدُ عليها، ففي آيةِ العقابِ ذكرَ صفةً واحدةً، من صفاتِه تعالى، وهو قولُه: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، وهي صفةٌ مشبَّهةٌ إلّا أنّه في الآيةِ الأخرى ذكرَ صفتَين من صفاتِه تعالى، فذكرَ صفةَ الغفورِ، وذكرَ صفةَ الرّحيمِ، وهو ما عبّر عنه الشّاعرُ بقولِه:

أَنَا مُذنِبٌ أَنَا مُخطِئٌ أَنَا عَاصٍ *** هُوَ غَافِرٌ هُوَ رَاحِمٌ هُوَ كَافِ

قَابَلتُهُنَّ ثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ *** وَلَتَغلِبَن أَوصَافُهُ أَوصَافِي[2].

صِيغتَا المبالغةِ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أقوى منَ اسمِ الفاعلِ(غافرٌ رَاحِمٌ):

يَقيني بأنّ الله يَغفرُ لي، من عذابِه بغُفرانِه

وكلاهما من مبالغةِ اسمِ الفاعلِ ﴿غَفُورٌ﴾، صيغةُ مبالغةٍ زنةُ (فعُولٌ)، وهو أقوى وأبلغُ من غافرٍ، و﴿رَّحِيمٌ﴾ صيغةُ مبالغةٍ زنةُ (فَعيل)، وهو أقوى وأبلغُ من راحم، فههنا رجّح الحقُّ ﷻ جانبَ الرّجاء على جانب الخوفِ، من جهتين كمًّا ونوعًا، فمنَ الكمِّ واحدةٌ

(1) البيهقي، شعب الإيمان: 2/327.

(2) البيتان منسوبان للشّافعيّ، وقد ذكرهما الآلوسّي دون نسبة، روح المعاني: 5/67.

للخوف ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، واثنتان للرّجاء ﴿غَفُورٌ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾، ومن جهة النّوعِ أنّ ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ صفةٌ مشبّهةٌ، جعلها للخوف، و﴿غَفُورٌ﴾ ﴿رَّحِيمٌ﴾ صيغتا مبالغةٍ، جعلهما للرّجاء، والأوّل دالٌّ على الكثرة، والثّاني لمن صار له كالطّبيعةِ والعَطيَّةِ[1]، جانبُ الرّجاء أغلبُ، وكلاهما خبرٌ للمبتدأ (اللّه).

تقديمُ العقابِ على المغفرةِ والرّحمةِ، إيذانٌ بالعَفوِ والغُفرانِ:

سبقت رحمةُ اللـه غضبَه، فعفا عنِ العباد حين يتوبُون

وفعلُ الأمرِ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يتعدّى إلى كونِه تعالى شديدَ العقابِ، ويتعدّى إلى كونِه غفورًا رحيمًا، فقد عطفَ الجملةَ الثّانيةَ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ على الجملةِ الثّانيةِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، فهلّا عكسَ التّرتيبَ وخالفَ؟ وهل يختلفُ المعنى؟ والجوابُ أنّ في "تقديم العقاب على المغفرة والرّحمة، إيماءً إلى أنّ العقابَ قد ينتهِي بالمغفرةِ والرّحمةِ؛ لأنّ رحمتَه تعالى سبقت غضبَه"[2]، ولقولِه ﷺ: «أنّ اللّه لَمَّا قَضَى الخَلقَ، كَتَبَ عِندَهُ فَوقَ عَرشِهِ: أنّ رَحمَتِي سَبَقَت غَضَبِي»[3].

تقديمُ (الغفور) على (الرّحيم) في قولِه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

المغفرةُ سلامةٌ، والرّحمةُ غنيمةٌ

وفي تقديم الغفورِ على الرّحيم، أسبابٌ منها أنّ المغفرةَ للمُكلّفين منَ البشر، وحيثُما وردَ ذكرُ المكلَّفين متقدِّمًا، تقدّمَ الغفور على الرّحيم[4]، وهنا تقدّم ذكرُهم في تحليل الصّيد وتحريمه، وثَمَّةَ سببٌ ثانٍ، في "تقديم الغفور على الرّحيم، أنّ المغفرةَ سلامةٌ، والرّحمةَ غنيمةٌ، والسّلامةُ مطلوبةٌ قبلَ الغنيمةِ"[5]، وأنّ الرّحمةَ أعمُّ منَ المغفرةِ، فهي تشملُ البشرَ والحيوانَ وأضرابَهم، وآيةُ ذلك

(1) أبو حيّان، ارتشاف الضّرب: 5/2281.
(2) المراغي، تفسير المراغيّ: 7/37.
(3) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (7422).
(4) فاضل السّامرائّي، من أسرار البيان القرآنّي، ص: 160.
(5) فاضل السّامرائّي، التّعبير القرآنّي، ص: 57.

قولُه ﷺ من حديثٍ طويلٍ «... فَمِن ذَلِكَ الجُزءِ تَتَرَاحَمُ الخَلَائِقُ، حَتَّى تَرفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا، خَشيَةَ أنّ تُصِيبَهُ»[1]، فالرّحمةُ عامّةٌ، وقد قدّمَ الرّحيمَ على الغفورِ في موضعٍ آخرَ هو قولُه تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: 02]؛ لأنّ السّياقَ هنا في جميع الخلائقِ وليست مُقتصرةً على البشرِ المكلَّفين.

(1) مسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2752).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»